جامعة المستقبل
كلية العلوم
قسم الفيزياء الطبية

اسم المادة الدراسية: اللغة العربية

المرحلة الدراسية: الأولى

عنوان المحاضرة: الشعر العربي في الإسلام/ الشاعر حسان بن ثابت انموذجا

المحاضرة السابعة

اسم التدريسي: م. م. محمد علي حسين

الأدب والنصوص

الشعر العربي في الإسلام

الشاعر حسان بن ثابت نموذجاً

الحمد لله الذي أنزل القرآن عربياً بليغاً، وجعل البيان حجةً وتبياناً، والصلاة والسلام على سيد الخلق وحبيب الحق، محمدٍ النبي العربي الأفصح، الذي أحاطه الله برجال أفذاذ سخّروا أقلامهم وألسنتهم للذود عن دعوته وبعد...

نلتقي اليوم تحت عنوان واسع هو "الشعر الإسلامي"، نتخذه مدخلاً لدراسة حالة مضيئة في تاريخ أدبنا، ألا وهي حالة شاعر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، وسنحاول أن نستجلي من خلاله حقيقة الشعر الإسلامي وسماته وأثره.

أولاً: الشعر الإسلامي: التعريف والسمات:

ليس الشعر الإسلامي مجرد شعر قاله مسلمون، كما أنه ليس مقصوراً على الموضوعات الدينية المباشرة كالعبادة والوصف النبوي، بل هو تلك القصيدة التي تنطلق من رؤية إسلامية للكون والحياة والإنسان، وتلتزم بقيم الإسلام وأخلاقه، وتصبغ معانيها بألوان العقيدة، سواء أكان موضوعها دفاعياً، أم غزلياً عفيفاً، أم فخراً، أم حكمة.

وهو شعريّة جديدة ولدت مع بزوغ نور الإسلام، استوعبت تراث الجاهلية الشكلي، وحوّلته بمحتوى جديد.

أبرز سماته:

١. الغائية والوظيفية: لم يكن الشعر لمجرد اللهو أو التفاخر القبلي الضيق، بل أصبح أداة لها رسالة وهدف، أهمها الدفاع عن العقيدة والجماعة الناشئة والرد على خصومها.

٢.الالتزام الأخلاقي: تحرّى الصدق، ونبَذ الهجاء الفاحش، والفحش في الغزل، والتفاخر بالباطل.

٣. تغليب المعنى على اللفظ: مع الحفاظ على جمالية الصياغة، إلا أن الأولوية كانت لقوة الفكرة ووضوح الرسالة.

٤. الانتماء إلى "الأمة" بدلاً من "القبيلة": تحوّل الفخر من الفخر بالآباء والعشيرة إلى الفخر بالدين والانتماء إلى جماعة المؤمنين.

٥. استلهام الرموز الإسلامية: مثل الإيمان، الجهاد، النبوة، القرآن، الصحابة، الجنة، النار.

ثانياً: حسان بن ثابت: شاعرٌ حوّله الإسلام

قبل الإسلام، كان حسان بن ثابت شاعراً معروفاً في يثرب، يتنقل بين بلاطات الغساسنة والمناذرة، يمتدح الملوك ليأخذ العطاء، كان ينتمي إلى مدرسة الشعر الحضري الذي يعتمد على الصنعة اللفظية والمعرفة بالتاريخ والأساطير.

لحظة التحول الكبرى كانت مع إسلامه، تحوّل من شاعر بلاط إلى شاعر دولة العقيدة الناشئة، لقد منحه الإسلام قضية تؤمن بها نفسه، وعدواً واضحاً يجب مجابهته، وجماعةً ينتمي إليها بكل كيانه، فانقلبت طاقته الشعرية من خدمة السلطان إلى خدمة الدعوة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له: ((اهجُهم، ورُوح القدس معك)) (رواه البخاري). هذه الكلمات لم تكن مجرد إذن، بل كانت شرعنة للدور الجديد للشعر، ورفعاً لمكانة صاحبه. أصبح الشعر سلاحاً في المعركة الفكرية المصاحبة للمعارك العسكرية، وسجلاً تاريخياً ينقل وقائع الغزوات ومواقف الشجاعة والإيمان.

ثالثاً: نماذج من شعره الإسلامي: سمات التجربة

لننظر إلى نماذج تبرز كيف تجلّت سمات الشعر الإسلامي في قصائده:

١. الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورد الاعتداء:

وهُبّي بذكر اللهِ غير مُغَضِّبِ ولا مُغنياً عن ذِكرِهِ المُتغَضِّبِ

أغرَّكَ أنَّ الله خَصَّكَ بالهُدى وبالوحيِ والتفصيلِ أيُّها الكاذبُ

أتُنكِرُ أن زَارَتْكَ جنٌّ بصادقٍ وأنّك تُعْلى في السّماء وتُقْربُ

هنا يرد على المشركين الذين يستغربون اختصاص النبي بالوحي، فيذكّرهم بمكانة النبي عند الله، بل ويذكر حادثة زيارة الجن له صلى الله عليه وآله وسلم، مستمداً ثقته من الحق القرآني.

٢. الفخر بالانتماء للإسلام وأهله:

إنَّ الذّائِدِينَ الحَاجَ عَنْ أَحْسَنِهِمْ وَسُورَةَ هَذا الْبَيْتِ مِنْ قُرَيْشِ

هُمْ أَنْجَبُ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى وَأَعَزُّ مَنْ سَارَتْ بِهِ الرُّكْبَانُ فَوْقَ الأَكْوُبِ

لم يفتخر بحسان بن ثابت أو بقبيلته الخزرج وحدها، بل افتخر بقريش أصحاب البيت الحرام، لأنهم أصبحوا إخوانه في الدين، وانصهر الجميع في بوتقة "الأمة".

٣. التسجيل التاريخي واستحضار أحداث الغزوات:

في قصيدته عن غزوة بدر المشهورة:

فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِنْ فُرسانِنَا وَقَدْ قَطَعُوا أَبْطَاحَهُ بِالمَخَارِقِ

يَذُرُّونَ بِالْبِيضِ الرِّقَاقِ رِؤوسَهُمْ وَيُزْجُونَ فِيها كُلَّ أَشْتٍ عَنيقِ

يصوّر المعركة تصويراً ملحمياً، لكنه ملحمة الإيمان التي تختلف عن ملاحم القبائل الجاهلية.

٤. الرقة والعفاف في الغزل:

حتى في غزله، نجد التأثير الإسلامي في العفّة والاحتشام، كما في رثائه لزوجته:

وَمَا بَكَتْ عَيْنِي لأَيّ مُصِيبَةٍ وَلَكِنْ بَكَتْ عَيْنِي عَلَى فَرْقَةِ الصَّاحِبِ

رابعاً: الدروس والعبر

١. قدرة الإسلام على تحويل الطاقات: حوّل الإسلام طاقة حسان الشعرية من الهامش إلى المركز، من خدمة الأرض إلى خدمة السماء. وهذا درس لكل صاحب موهبة.

٢. الأصالة والمعاصرة: استخدم حسان الأسلوب الشعري المعهود (القصيدة العمودية، اللغة، البحور) لكنه ملأه بمضمون جديد. فهو لم يرفض التراث الشكلي بل جعله وعاءً للفكرة الجديدة.

٣. الشعر كمسؤولية: لم يكن الفن للفن، بل كان الفن للدعوة والحق. كان الشعر رسالة وسلاحاً وترسيخاً للقيم.

٤. الشرعية والدعم: نجاح نموذج حسان كان بسبب الدعم المباشر من القيادة (الرسول صلى الله عليه وسلم) الذي أعطى الشعر والشاعر مكانتهما في المجتمع الجديد.

خاتمة:

لقد كان حسان بن ثابت نموذجاً للمثقف العضوي الذي يضع فنه في خدمة قضيته، وشعره يمثل اللبنة الأساسية في صرح الشعر الإسلامي الأصيل الذي يزاوج بين جمالية اللفظ وقوة الحق.

لقد تعلمنا أن الشعر الإسلامي ليس مدرسة فنية مغلقة، بل هو منهج وروح، ينطلق من عقيدة ليعبر عن هموم الإنسان وقضايا الحق في كل عصر، وهو ما نحتاجه اليوم لمواجهة التحديات الفكرية والثقافية بعقلية المؤمن الواعي ولسان الشاعر الملتزم.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.